

بسم الله الرحمن الرحيم

## رياض الصالحين

### شرح حديث عبد الله بن بُسرِ الأَسْلَمِيٌّ "خَيْرُ النَّاسِ مَنْ طَالَ عَمْرُهُ وَحَسْنَ عَمْلُهُ" وَحَدِيثُ أَنْسٍ فِي مَقْتَلِ أَنْسٍ بْنِ النَّضْرِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -

الشيخ: خالد بن عثمان السبت

الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فعن أبي صفوان عبد الله بن بُسر الأَسْلَمِيٌّ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - قَالَ: ...

أبو صفوان عبد الله بن بُسر من صغار أصحاب النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وقد أسلم كما أسلم أبواه، وأخوه وأخته، ولذلك نقول - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا -، أي هو وأبوه، وكان قد انتقل إلى الشام، وهو آخر من مات بالشام من أصحاب النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، توفي نحو سنة ست وتسعين للهجرة، وبعضهم قال: إنه بلغ المائة.

والعجب أنه يروي هذا الحديث وهو قول النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ((خَيْرُ النَّاسِ مَنْ طَالَ عَمْرُهُ وَحَسْنَ عَمْلُهُ))<sup>(١)</sup> رواه الترمذى.

((خَيْرُ النَّاسِ مَنْ طَالَ عَمْرُهُ وَحَسْنَ عَمْلُهُ)), وذلك أن الإنسان في هذه الحياة الأنفاس وال ساعات والأيام والشهور والسنون كل ذلك هو فرصة له لمزيد من العمل الصالح، فإذا استغل كل نفس في ما يقربه إلى الله - عز وجل - ازداد رصيده.

فهي مثل التجارة، الإنسان الذي يبقى يتاجر مدة ستين سنة أو سبعين سنة ليس مثل الذي يتاجر في عشر سنوات، لو أعطي شخصاً مثل هذه السجادة، وتُرك أحدهم ينسج مدة طويلة، خمسين سنة، والآخر خمس سنوات، ما ظنك بالفارق؟

فهكذا الأعمال الصالحة، الإنسان إذا كان عمره طويلاً واستغله بطاعة الله - عز وجل - فمعنى ذلك أنه عنده صلوات كثيرة جداً، وصام رمضانات كثيرة جداً، وحج كثيرة جداً، وتصدق كثيرة، وذكر الله كثيرة، فإذا كانت فرصة الإنسان خمس سنوات مثلاً مما كان مشمراً في العمل والعبادة فإنه لا يوازي الآخر، وهكذا العكس: شرکم من طال عمره وسأله عمله، فهو يزداد من الأعمال السيئة، فكم من نظرة سيئة، وكم من كذب وغيبة وباطل وبهتان وشر، وكم من أموال محمرة أكلها، وكم من جرم قارفه.

فيكثر على ظهره من الأعمال التي عبأها خلال عشرات السنين، فينبعي للإنسان - وهو لا يدرى متى أجله - أن يجتهد، فإن كان عمره قصيراً يكون قد استمره قدر الإمكان فيما يرضي ربه، ويزيد في عمله الصالح وحسناته، وإن كان العمر طويلاً ازداد من الطاعة والقربة والإحسان.

<sup>١</sup> - أخرجه الترمذى، أبواب الزهد عن رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، باب ما جاء في طول العمر للمؤمن (٤/٥٦٥)، رقم: (٢٩٦٢)، وأحمد (٢٩٦٢)، رقم: (١٧٦٨٠).

والحديث الآخر هو حديث أنس رضي الله عنه- قال: غاب عمي أنس بن النصر عن قتال بدر، فقال: يا رسول الله، غبت عن أول قتال قاتلت المشركين، لئن الله أشهدني قتال المشركين ليرين الله ما أصنع، فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون، قال: اللهم إني أعذر إليك مما صنع هؤلاء -يعني أصحابه-، وأبرا إليك مما صنع هؤلاء -يعني المشركين- ثم تقدم، فاستقبله سعد بن معاذ، فقال: يا سعد بن معاذ، الجنة ورب النصر، إني أجد ريحها من دون أحد، قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع، قال أنس: فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة بالسيف، أو طعنة برمح، أو رمية بسهم، ووجدناه قد قتل، وقد مثل به المشركون، فما عرفه أحد إلا أخته ببنائه، قال أنس: كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه، وفي أصحابه: **{من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه}** [الأحزاب: ٢٣].<sup>(٢)</sup>

قوله: لئن الله أشهدني قتال المشركين ليرين الله ما أصنع، يعني: أنه هاب أن يقول غير ذلك، وifax أن يقول كلاما لا يستطيع الوفاء به، خشي أن يقول: لئن لقيت المشركين لأكسرن هذا السيف على هاماتهم مثلــ ولا يفعل، أو أن يقول: لا أنهزم، أو نحو هذا.

قال: "فلما كان يوم أحد، انكشف المسلمون" يعني: انهزموا، فقال: اللهم إني أعذر إليك مما صنع هؤلاء -يعني أصحابه-، وأبرا إليك مما صنع هؤلاء -يعني المشركين-، ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال: يا سعد بن معاذ الجنة ورب الكعبة إني أجد ريحها من دون أحد.

قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع، يعني: أن أصنع ما صنع، قال أنس: فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة بالسيف، أو طعنة برمح، أو رمية بسهم، ووجدناه قد قتل، وقد مثل به المشركون، فما عرفه أحد إلا أخته ببنائه، يعني: بأطراف أصابعه، فيه علامة عرفته بها، كل جسمه مشوه، دماء، وجراح.

قال أنس: كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه، وفي أصحابه: **{من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه}** [الأحزاب: ٢٣]، أي أنهم لما غابوا عن بدر قالوا كما قال أنس رضي الله عنه-: لئن لقينا المشركين ليرين الله ما نصنع، وصدقوا ما عاهدوا الله عليه من الجهاد والذب عن دين الله -عز وجل- والثبات على الإسلام، كل هذه المعاني داخلة فيه، وقد ذكر السلف ذلك جميعا في تفسير الآية.

**{فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ}** [الأحزاب: ٢٣]، النحب يطلق على العهد، والموت السريع، ويطلق على الحلف، وغير ذلك من المعاني، نحو سبعة معانٍ للنحب في كلام العرب، والمقصود به هنا -والله تعالى أعلم- **{فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ}** أي: مات على الصدق والوفاء.

**{وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا}**، منهم من لا زال على قيد الحياة، ولكنه لم يبدل، ولم يغير، ولم ينكص على عقبيه.

هذا الحديث أورده في باب المجاهدة، وعلاقته بذلك واضحة، وهو أنه أقدم هذا الإقدام العظيم الذي عجز عنه رجل اهتز لموته عرش الرحمن، وهو سعد بن معاذ رضي الله تعالى عنه.

<sup>٢</sup>- أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب قول الله تعالى: **{من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا}** [الأحزاب: ٢٣] (١٩/٤)، رقم: (٢٨٠٥).

فالبقاء على عهد الله -عز وجل-، والثبات على الإيمان، والوفاء بالعقود التي تكون مع الله -جل جلاله- أمر لا يستطيعه كثير من الناس، أو لا يفعله كثير من الناس، وإنما يحتاج إلى صبر وثبات عظيم من أجل أن يبقى الإنسان على ذلك الأمر.

وهكذا كان أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم-، فهذا عبد الله بن عمرو بن العاص كان يقرأ كل ليلة إلى أن يصبح، يختم كل يوم، ويصلِّي طول الليل، ويصوم كل يوم، أمره النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يختم في كل أربعين، ثم نزل معه شيئاً فشيئاً لإصراره، حتى قال له: لا يفقه القرآن من قرأه في أقل من ثلاثة، وقال له: صم يوماً وأفطر يوماً لما أبى أن يصوم ثلاثة أيام من كل شهر، أو الإثنين والخميس، فالحاصل أنه لما تقدم به السن ضعف، وما كان يطيق هذا الصيام والقيام، فكان يقرأ ورده من القرآن في النهار، ثم يقرؤه في الصلاة في الليل، وكان يقول: وددت أني أخذت براخصة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأن ذلك بأهلي ومالي، لأنَّه ضعف<sup>(٣)</sup>.

الشاهد أنه ما كان يريد أن يغير شيئاً ترك عليه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مع أنه لا يجب عليه قيام الليل، وصيام يوم وإفطار يوم لاسيما مع الكهولة والضعف والعجز.

نَسَأَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَثْبِتَنَا جَمِيعًا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدَ، وَآلِهِ وَصَحْبِهِ.

---

<sup>٣</sup> - أخرجه البخاري، كتاب الصوم، باب حق الجسم في الصوم (٣٩/٣)، رقم: (١٩٧٥)، ومسلم، كتاب الصيام، باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت به حقاً أو لم يفطر العيددين والتشريق، وبيان تفضيل صوم يوم، وإفطار يوم (٨١٢/٢)، رقم: (١١٥٩).